الجمعة 21/ربيع الأول/1437هـ
الموافق 1/يناير/2016م السنة 85 العدد 21450

صوت الحجاز ١٣٥٠ – ١٣٦٠
البلاد السعودية ١٣٦٥/٢ – ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٧٨/٧
البلاد ١٣٨٣
البلاد ALBILAD ١٤٣٤

صور من التاريخ

احدى طائرات ارامكو

سوق في طريف

هذه المواد نشرت بتاريخ 7/ 8/ 1380هـ الموافق 1961/1/24م

لغة التخاطب

بقلم: مصطفى محمد الصباحي

روى ابو حيان التوحيدي في احدى امالیحه، ان محمد بن الحسن دخل الحمام يوما وخاطب قيم الحمام قائلا: اين الجليدة التي ستخرج بها الضوبطة من الاخفيق؟ فما كان من قيم الحمام الا ان صفعه على قفاه وفر هاربا من الحمام، وخرج العامة اللغوي من الحمام فاتصل برئيس الشرطة وطلب اليه ان يحبس القيم، فاخذه رئيس الشرطة الى الحبس، فمكث فيه الى الليل، ثم كتب الى محمد بن الحسن يقول:"قد اخجرني المحبوسون بالمسألة عن سبب حبسي، فان لم تخرجني اخبرتهم" وبعث صاحبنا الى رئيس الشرطة فاخرجه.

واتصل هذا النبأ باحمد بن ابي داود القاضي فركب الى المتوكل فاخبره بالقصة على تفاصيلها، فضحك المتوكل طويلا وقال: ينبغي ان يغني هذا القيم عن الخدمة في الحمان، وارسل اليه الف دينار..

والقصة في ذاتها قد تكون مخترعة، اقال ابا حيان هذا معروف باختلاق الوقائع والبناء عليها وزخرفتها، وكان قد روى قصة جعل ابطالها ان بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعليا بن ابي طالب وابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، وجعل حوادثها تدور بعد بيعة ابي بكر بالخلافة، ولكن الجماعة على انها غير صحيحة، وانها من مخترعات هذا الاديب البائس الذي قيل انه كان بارعا وانه وضع اكثر من عشرين كتابا في مختلف الفنون والعلوم، وانه لما لقى من فقر وبؤس وعدم تقدير ـ احرق كتبه قبل وفاته ضنا بها ان يفيد منها الناس وقد تتكرر له في حياته.. هكذا زعموا!

ونعود الى موضوع القصة التي صدرنا بها هذه المقالة، نقول انه يبدو ان محمدا بن الحسن هذا كان لغويا متقعرا، وانه كان متقطعا لهذا الفن عن رغبة واخلاص، فلم يتسع وقته لمعاناة الاحاديث مع العامة، والاطلا على ما يحسن لديهم وما لا يحسن، ومن اجل ذلك خاطب قيم الحمام بما لا يفهمه، وصنع معه القيم ما يصنع العامة في مثل هذه الاحوال.

ونحن وان كنا نضع تقدير العلماء في اي علم وفي موضع الاجلال والاكبار، لا يسعنا الا ان نضحك لهذه المفارقة ولو كان الذي صنع هذا رجلا من اكابر الناس لبلغ استياؤنا منه واستنكارنا لعمله اقصى ما يمكن ان يبلغ الاستياء والاستنكار، ولكن صدوره من رجل عامي يدخل عنصر الفكاهة في الموضوع ويجعلنا نوصي اصحاب الفنون والعلوم بالا ينقطعوا عن الناس حتى تنقطع الصلة بينهم وبين الكافة مما يجعل المسافة بين الطرفين بعيدة والهوة بينهما سحيقة.

واذن فالعلماء واللغويون والشعراء والكتاب ينبغي ان يتحروا في خطاب الكافة، ما هو متعارف عليه بينهم من الاساليب الجارية وان يتوخوا الرشاقة في التعبير والسهولة في الابانة، ومراعاة ادراك المخاطب (بفتح الطاء) وذلك ادعى الى حسن التفاهم وتجنب المحذورات.

وهذا ـ وان كان ـ تتحقق به مصالح عديدة، اذ يمكن ان تنقل الى افهام العامة معلومات مفيدة في ثنايا الحديث المفهوم، اذ يفهم الناس حديث بعض من ايسر السبل، واقرب المسالك، فلا يجوز ان تكون هناك لغتان، او طبقتان تتحدث كل طبقة منهما لغة مغايرة للغة الطبقة الاخرى.

وعلى هذا فالمتوكل اذن معذور حين ضحك ولعله كافأ القيم هذه المكافأة السخية، ليتدربها اصحاب ذلك اللغوي المتقعر فتصل اليه فيتسهل قليلا ما في معاملته مع العامة.

XXX

قوة اليقين

كتب سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الى رستم قائد الفرس: "اسلامكم احب الينا من غنائمكم، وقتالكم احب الينا من صلحكم" فبعث اليه رستم "انتم كالذباب اذ نظر الى العسل فقال من يوصلني اليه بدرعمين، حتى اذا نشب فيه قال من يخرجني منه باربعة، وانت طامع، والطمع سيرديك" فاجابه سعد: انتم قوم تحادون الله وتعاندون انفسكم، لانكم قد علمتم ان الله يريد ان يحول الملك عنكم الى غيركم،وقد اخبركم بذلك علماؤكم وحكماؤكم وتقرر ذلك عندكم، وانتم دائما تدافعون القضاء بنحوركم، وتتلقون عقابه بصدوكم، هذه جرأة فيكم، ولو نظرتم لابصرتم، ولو ابصرتم لسلمتم، فان الله غالب على امره، ولما كان الله معكم كانت ريحكم علينا، والآن لما صار الله معنا صارت ريحنا عليكم، فانجوا بأنفسكم، واغتنموا ارواحكم، والا فاصبروا لحر السلاح، وألم الجراح وخزي الافتضاح.

وانتصر سعد، وقتل رستم، قتله غلام من كلب.